تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في المصالح الروسية في ليبيا

أ. محمود عبد السلام البريدان*

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا في ليبيا، ومن خلال هذا الهدف الرئيس تفرعت الأهداف الفرعية التالية، وهي: كشف ومعرفة أسباب ومسارات الحرب الروسية الأوكرانية، ثم كشف ومعرفة ارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية على الدول المنخرطة في هذا الصراع المستمر حتى الآن، وكذلك تأثيرها في ليبيا، ثم كشف ومعرفة تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا بليبيا من خلال تحليل البعد السياسي في علاقتها مع ليبيا، ثم البعد الدولي، ثم البعد الاقتصادي، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي، وتوصلت إلى نتائج عدة، ومن أبرزها أن السياسة الروسية ستواصل التشبث بمصالحها في ليبيا، رغم انشغالها بالحرب مع أوكرانيا، وأنها تعمل على تكييف أدواتها العسكرية والسياسية في رعاية هذه المصالح على المستوى العسكري والاقتصادي، وستظل ليبيا بوابة حيوية لاستراتيجية روسيا في بلدان أفريقيا جنوب الصحراء، ومسرحًا لتنافس حاد مع الغرب بحكم موقع ليبيا الاستراتيجي ومواردها الاقتصادية المهمة، ويشكل النفط والغاز الليبي هدفاً رئيساً لروسيا، ما يعمق أهمية ليبيا في الصراع الجيوسياسي الدولي الأوسع.

Abstract :

This study aimed to shed light on the impacts of the Russia-Ukraine War on Russia's interests in Libya. From this main objective, the following sub-objectives branched out: uncovering and understanding the causes and trajectories of the Russia-Ukraine War; then revealing and understanding the repercussions of the Russia-Ukraine War on the countries involved in this ongoing conflict, as well as its impact on Libya; and finally, uncovering and understanding the effects of the Russia-Ukraine War on Russia's interests in

* أ. محمود عبد السلام البريدان، عضو هيئة التدريس بجامعة المرقب.

Libya through an analysis of the political dimension in its relationship with Libya, followed by the international dimension, and then the economic dimension. The descriptive-analytical and historical methodologies were employed. The study reached several key conclusions, among them: Russian policy will continue to cling to its interests in Libya despite its preoccupation with the war in Ukraine, and it is working to adapt its military and political tools to safeguard these interests at both military and economic levels. Libya will remain a vital gateway for Russia's strategy in sub-Saharan African countries, and an arena for fierce competition with the West due to Libya's strategic location and important economic resources. Libyan oil and gas constitute a primary objective for Russia, which deepens Libya's importance in the broader international geopolitical struggle.

المقدمة

يصادف تاريخ 24 فبراير 2022 الذكرى الثالثة لبدء الغزو الروسي لأوكرانيا، بعد أن أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إطلاق ما أسماه "عملية عسكرية خاصة في أوكرانيا"، وجاء ذلك نتيجة حشد عسكري روسي واسع النطاق في شمال وشرق وجنوب أوكرانيا، وقد تسببت هذه الحرب في أزمات اقتصادية وسياسية عالمية، وخسائر بشرية فادحة، ما بين مدني وعسكري من كلا الجانبين، بالإضافة إلى خسائر مادية فادحة.

كما تُعد الحرب الروسية الأوكرانية من أهم الأحداث الجيوسياسية في القرن الحادي والعشرين، وكان لها تأثير عميق في التوازنات الإقليمية والدولية، ولم تكن هذه الحرب مجرد صراع عسكري بين دولتين؛ بل كانت لها تداعيات بعيدة المدى على الأمن والاستقرار في أوروبا ومناطق متعددة من العالم بما في ذلك الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

من جهة أخرى ركزت روسيا على توسيع نفوذها في ليبيا لسنواتٍ عديدة، كونها تُمثل منطقة استراتيجيةً رئيسةً غنيةً بالموارد لا سيما النفط والغاز، وتُمثل هذه الموارد عنصرًا أساسًا في مصالح روسيا في تأمين تجارة الطاقة وتعزيز حضورها في سوق الطاقة العالمي، كما أن ليبيا تتمتع بموقع جغرافي فريد تسعى موسكو للاستفادة به لضمان نفوذها، وكسب المزيد من النفوذ في حوض البحر

المتوسط، وفي وسط شمال أفريقيا خصوصاً، وهي منطقة تتمتع بعمق إفريقي مهم، وواجهة حيوية لجنوب أوروبا.

وفق ما سبق فإن هذه الدراسة تبحث في مسألة تأثير الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا في ليبيا باعتبار أن هذا المعطى يعد أمرًا حيويًا لفهم كيفية تغير العلاقات الدولية في ظل الأزمات العالمية، خاصة في زمن الحروب، وستلقي هذه الدراسة الضوء على كيفية استغلال روسيا للفراغ السياسي والأمني في ليبيا، والتحديات التي تواجهها نتيجةً لصراعها في أوكرانيا، وكيفية سعيها لإيجاد مقاربة لها من أجل الحفاظ على مصالحها في ليبيا.

إشكالية الدراسة

تتسم الحرب الروسية/الأوكرانية بطبيعتها المركبة بسبب أبعادها المختلفة، وارتباطاها بالأصعدة السياسية والاقتصادية واتساع مجال تأثيرها الدولي، وترتبط هذه الحرب بالدرجة الأولى بالدول المنخرطة فيها، وفي مقدمتها روسيا، التي لديها مصالح في دول عدة من بينها ليبيا، بعد أن قامت روسيا بتعزيز نفوذها في هذه الدولة ذات الأهمية الاستراتيجية، ومن ثمّ فإن إشكالية هذه الدراسة تدور حول التعرف إلى تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح ونفوذ روسيا في ليبيا بمختلف الجوانب والأصعدة، ومن ثم تطرح هذه الدراسة التساؤل الرئيس التالي: ما تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا بليبيا؟ ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس عدد من التساؤلات الفرعية، وهي على النحو التالي:

1- ماهي أسباب ومسارات الحرب الروسية الأوكرانية؟

2- ما ارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية على الدول المنخرطة في الصراع؟ وعلى ليبيا؟

3- ما هي تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية (السياسية والاقتصادية والدولية) في مصالح روسيا في ليبيا؟

أهداف الدراسة

من خلال التساؤلات أعلاه؛ فإن هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- كشف ومعرفة أسباب ومسارات الحرب الروسية الأوكرانية.

2- كشف وتحليل ارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية على الدول المنخرطة في الصراع، وعلى ليبيا.

3- كشف وتحليل تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية (السياسية والاقتصادية والدولية) في مصالح روسيا في ليبيا.

منهج الدراسة

نظراً لطبيعة موضوع الدراسة استخدم المنهج الوصفي التحليلي الذي من خلاله حدّدت أسباب وأهم محطات الحرب الروسية الأوكرانية التي لا تزال دائرة إلى الآن، كذلك تحليل تأثير هذه الحرب في مصالح روسيا في ليبيا لكون مصالح روسيا وحدة واحدة بنظر صانع السياسة الخارجية الروسية، التي تسعى للحفاظ عليها سواء كانت في قارة أوروبا أو أفريقيا أو غيرهما من بقاع العالم، وأن هذا الحفاظ يحتاج لوصفه وتحليله من جانب مصالح روسيا، ووفق ذلك تتضح أيضاً مصالح ليبيا الوطنية وأمنها القومي وخياراتها نحو حل أزمتها السياسية في الحضور الروسي بشكله السياسي أو العسكري أو الاقتصادي؛ كما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي، الذي يساعد على التعرف إلى جذور الأزمة الأوكرانية ومساراتها وآثارها عبر الفترات الماضية وحتى الآن.

أولاً: أسباب ومسارات وارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية وتأثيرها في ليبيا

شكلت الحرب الروسية الأوكرانية التي اندلعت في فبراير 2022 أزمة دولية ذات تبعات خطيرة امتدت آثارها لتشمل العالم بأسره، وكان لها أسباب دفعت لاندلاعها، ولها مسارات محددة، وقد خلفت الحرب آثارًا غير محدودة، سياسية واقتصادية واستراتيجية، خاصة على الدول المنخرطة فيها، وهي روسيا وأوكرانيا، كما كان للحرب آثار في ليبيا، وهذا ما سيتم تناوله كما يلي:

1- أسباب الحرب الروسية الأوكرانية ومساراتها

يرجع الباحثون محددات الأزمة الروسية الأوكرانية إلى فحص وتحليل العلاقات الثنائية المتشابكة بين البلدين، حيث يتداخل التاريخ والسياسة والجغرافيا في تشكيل هذه العلاقات، ومنذ استقلال أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتي عام 1991م، ومع تفكُّك هذا الكيان وحصول أوكرانيا على استقلالها في العام نفسه ظلت هناك توترات كامنة مرتبطة بالقضايا الحدودية والهوية القومية والخيارات السياسية والاقتصادية لكلا البلدين، وقد تعمقت هذه التوترات مع تغير مسار أوكرانيا نحو الغرب، ما أثار

مخاوف روسيا من فقدان نفوذها في منطقة تعدها من أهم المناطق المكونة لمجالها الحيوي، كما قامت أسواق الطاقة، وخاصة إمدادات الغاز الروسي لأوروبا عبر أوكرانيا، بدور مهم في تعقيد العلاقات الثنائية بين البلدين، وكانت الأزمة الراهنة ليست سوى تجلٍّ لهذه العوامل المتراكمة، حيث تتداخل المصالح الجيوسياسية والاقتصادية والعسكرية، ما يجعل الحل معقداً، ويستوجب فهماً عميقاً لهذه العلاقات المتشابكة[1].

وفي العام 1994، جرى توقيع "مذكرة بودابست" التي تعهَّدت بموجبها روسيا الاتحادية باحترام حدود أوكرانيا في مقابل تخلِّي كييف عن ترسانتها النووية الموروثة لصالح روسيا؛ لكن سرعان ما فرضت الحسابات الجيوسياسية نفسها على شرق أوروبا، مع اتجاه حلف الناتو للتمدد شرقًا، فانضمَّت جمهوريات التشيك والمجر وبولندا للحلف، وكان ذلك عام 1999، وبين عامي 2004 و2009 انضمت تسع دول من شرق أوروبا بعضها من الجمهوريات السوفيتية السابقة (بلغاريا، إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، رومانيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، ألبانيا، كرواتيا) ثم لحقت بها كل من (الجبل الأسود ومقدونيا الشمالية)، وأصبح إجمالي عدد الدول التي انضمت للحلف بين 1999 و2020 نحو 14 دولة، وهي في مجموعها تشكِّل نحو نصف الدول الأعضاء في الحلف الذي تأسس عام 1949[2].

وفي تاريخ 22 نوفمبر 2014 اندلعت احتجاجات واسعة في أوكرانيا فاستغلت روسيا الوضع المضطرب بأن ضمت شبه جزيرة القرم التي مُنحت في زمن الاتحاد السوفياتي لأوكرانيا عام 1954 ثم أقدم الغرب على فرض عقوبات شديدة على روسيا، وفي 2014 نفسه اختير رئيس جديد لأوكرانيا،

(1) ندى شوقي عبد اللطيف وآخرون، سيكولوجية القيادة السياسية وأثرها على صنع القرار الخارجي، قرار الرئيس فلاديمير بوتين بالحرب على أوكرانيا 2022 "نموذجًا"(برلين: المركز الديمقراطي العربي، أغسطس 2024م)، ص25.

(2) عصام عبد الشافي، الحرب الروسية–الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي (قطر الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2022م)، ص22.

وفي بداية سنة 2015 هاجم مؤيدون لروسيا الأراضي الأوكرانية، واتهمت كييف الجيش الروسي بدعمهم[1].

يذكر أنه ضُمَّت أقاليم دونيتسك ولوغانسك وخيرسون وزابوريجيا، وكلها مناطق أوكرانية سيطرت عليها القوات الروسية جزئياً، وذلك بعد استفتاء على انفصالها استمر ثلاثة أيام، لتضاف هذه المناطق إلى شبه جزيرة القرم، وحينها تعهد الرئيس الروسي بإعادة بناء المناطق التي ضمها، والاهتمام بمواطنيها، والدفاع عنها بكل الوسائل الممكنة[2]. وقد دخلت الأزمة الأوكرانية مرحلة حاسمة وفاصلة بعد اعتراف الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 21 فبراير 2022، باستقلال جمهوريتي دونتسك ولوغانسك في منطقة دونباس، وبعدها أطلقت روسيا في 24 فبراير 2022 هجوماً عسكرياً شاملاً ضد أوكرانيا بعد يومين فقط من إعلان هذا الاستقلال، وقد جاء ذلك نتيجة إبداء أوكرانيا نيتها المضي قدماً في محاولاتها الانضمام إلى منظمة حلف شمال الأطلسي، وكذلك الاتحاد الأوروبي، وهو ما ترى فيه روسيا تهديداً مباشراً لأمنها القومي، وأعلنت روسيا أن هدفها من اجتياح أوكرانيا هو إسقاط نظام الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي، ونزع سلاح أوكرانيا، ومنع انضمامها إلى حلف الناتو، وإجبارها على الاعتراف بضم روسيا لشبه جزيزه القرم، واستقلال لوغانسك ودونيتسك[3].

بعد أن أعلن بوتن قرار الحرب ضد كييف قوبل قراره بإدانة دولية شديدة، ظهرت في التصويت على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، وقد صوتت (141) دولة لصالح القرار، مقابل رفض (5) دول، وامتناع (53) دولة عن التصويت[4]. وعلى الرغم

(1) طارق مفتاح سلحب، الأزمة الأوكرانية وآثارها الاقتصادية السلبية على العالم، مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية (ليبيا: المجلد 9، العدد 3، 2024م)، ص 267.

(2) عصام فاعور ملكاوي، الحرب الروسية الأوكرانية: السياقات والتحولات الاستراتيجية الأمنية والعسكرية (مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية، مارس، 2024م)، ص7.

(3) أحمد جلال عبده، السياسة الأمريكية تجاه التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا وانعكاساتها على حلف الناتو، مجلة السياسية والاقتصاد (المجلد 17، العدد 16، 2022م)، ص 417.

(4) زانا دلشاد حسن، محددات الأمن القومي الروسي في ظل المتغيرات الدولية الجديدة (رسالة ماجستير: جامعة الشرق الأدنى: كلية العلوم الاقتصادية والإدارية، 2021م)، ص48.

من أن نوايا روسيا غير واضحة لما بعد غزو أوكرانيا، فإن روسيا كما يبدو تركز بشكل أساس على توسيع المنطقة العازلة حول الجمهوريات الانفصالية في منطقة دونباس في شرق أوكرانيا، كما ركزت روسيا أيضاً على تقليص القدرة العسكرية لأوكرانيا، بالإضافة إلى أن روسيا تحاول اقتطاع أجزاء من جنوب أوكرانيا، مثل منطقة خيرسون، كما تحاول روسيا استخدام الأراضي الأوكرانية المحتلة ورقة مساومة في مفاوضات السلام مع أوكرانيا، التي قد تتضمن شروطاً حول منع أوكرانيا من الانضمام لعضوية الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، ويمكن لروسيا تحقيق تلك الأهداف من خلال تغيير النظام في أوكرانيا، وعلى ذلك يمكن القول إن مسار الحرب سوف يكون له تأثير كبير ودائم في أوكرانيا[1].

2- ارتدادات الحرب الروسية الأوكرانية على الدول المنخرطة فيها

بداية يمكن القول بأن هذه الأزمة لها خصوصيتها؛ لأنها حدثت بين دولتين جمعهما تاريخ مشترك، وهذا له مردوده حول وجود خصائص مشتركة لكل منهما من قيم للتخطيط الاستراتيجي للقيادة الروسية، كانت آثار هذه الحرب الاقتصادية أكثر تدميرًا على اقتصادات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت المجتمعات الأوروبية تعرف معنى اقتصاد الحرب، كما أن لها تداعيات أخرى كثيرة، فقد أدى الصراع إلى نتائج عكسية، حيث وحدت الحرب الجبهة الغربية ضد روسيا، إذ عمل الرئيس بوتين بشكل لا إرادي على توحيد الغرب ضد روسيا بشكل أكثر تنسيقًا، مقارنة بما حدث منذ عقود، وبالمقابل أدت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي إلى تقارب روسيا والصين بشكل كبير، وأثرت الأزمة كذلك على توازن القوى في الساحة الدولية لحد كبير، وعلى مسار علاقات بعض القوى في القارة الآسيوية مثل الصين وروسيا واليابان والهند، وشكلت تحدياً كبيرًا للسياسة الخارجية للصين لمواكبتها تعمق شراكة الصين مع روسيا من جهة، وتصاعد حدة التوتر بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى، كذلك جمعت هذه الحرب مزيجًا من الأنماط المختلفة للحروب، سواء كانت تقليدية، أو سيبرانية حيث كان لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دور

(1) هشام محمد بشير دور الجغرافيا في الحرب الروسية الأوكرانية، مجلة كلية السياسة والاقتصاد (العدد 17، يناير 2023م)، ص 94.

كبير في زيادة حدة المواجهات بين طرفي الصراع، ولأول مرة يعلن رسمياً عن الاستعانة بمرتزقة في الحرب النظامية[1].

تعرضت روسيا لخسائر متنوعة من جرَّاء تدخلها العسكري في أوكرانيا، وتنوعت هذه الخسائر بين خسائر بشرية بسبب العمليات القتالية، ومع طول الفترة الزمنية للحرب، وعدم القدرة على الحسم وصلابة المقاومة الأوكرانية زادت هذه الخسائر بشكل مضطرد، وكانت عدة كييف وجاهزيتها القتالية مدعومة بقوات وسلاح وخبرات غربية، كما تعرضت روسيا لخسائر اقتصادية بسبب تركيز وتوسيع العقوبات الغربية ضدها، التي طالت العديد من القطاعات الاقتصادية الروسية، بما فيها قطاع النفط والغاز، وتجميد الأرصدة، ما هدد بانهيار البنوك التجارية وسلاسل التوريد، وإلزام العديد من حلفاء الولايات المتحدة بتنفيذ العقوبات، ووقف التعامل مع روسيا، وخسائر سياسية إذ نتج عن الحرب ما يمكن وصفه بعزلة روسيا عن المجتمع الدولي؛ حيث تضررت صِلات روسيا بالعالم الخارجي، وأصبحت أكثر عزلة مما كانت عليه حتى إبَّان الحرب الباردة، وقاطعت دولاً عدة روسيا، أو أضعفت التبادل التجاري والثقافي والسياسي، وأُغلِق المجال الجوي أمام الطيران الروسي في العديد من الدول الأوروبية، وكذلك حُظِرت حركة السفن الروسية من دخول موانئ العديد من دول العالم[2].

ومنذ العام الأول من الحرب 2022 توسعت العقوبات المفروضة على روسيا، حيث استبعدت بنوك روسية من شبكة سويفت العالمية، كما فرضت عقوبات ضد عدد من البنوك الروسية وشخصيات محسوبة على النظام الحاكم في روسيا، وحظرت على مواطنيها إجراء أي تعاملات مع البنك المركزي ووزارة المالية[3] وإضافة إلى العقوبات المالية فُرضت على روسيا مجموعة من

(1) زانا دلشاد، محددات الأمن القومي الروسي في ظل المتغيرات الدولية الجديدة، مرجع سابق، ص47.

(2) الشافي، الحرب الروسية–الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي، مرجع سابق، ص23.

(3) مفتاح المبروك ميلاد علي، تجلي آثار الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد العالمي، مجلة جامعة بني وليد للعلم الإنسانية والتطبيقية (المجلد 9، العدد 5، 2024م)، ص274.

العقوبات الاقتصادية، كان من أهمها فرض قيود على صادرات وواردات روسيا، ومنع الطيران الروسي من استخدام الأجواء الأوروبية[1].

وفي المقابل تأثرت أوكرانيا بالحرب الدائرة على أراضيها ما جعل اقتصادها شبه معطل بالكامل، كما حظرت الملاحة في البحر الأسود التي كانت من مصادر دخلها المهمة، وتعرضت البنية التحتية والمادية والبشرية في أوكرانيا إلى أضرار جسيمة، ورغم ذلك تتلقي أوكرانيا دعماً خارجياً وخاصة من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، ووصلت قيمة المساعدة المالية الإجمالية لسنة 2023 وحدها حوالي (19) مليار يورو تنفذ على دفعات، كما قدرت المفوضية الأوروبية أن القروض التي تعطى لأوكرانيا بقيود سهلة لفترة زمنية طويلة ب 35 عاماً، وهي تسمح لها بفترة زمنية تصل لعشر سنوات من استلامها المساعدات[2].

ورغم الدعم الأوروبي السخي – وحسب بيان خبراء صندوق النقد الدولي– فإن الحرب في أوكرانيا ألحقت خسائر فادحة بالبنية التحتية للبلاد، فبالإضافة إلى الخسائر البشرية، فإن الخسائر الاقتصادية جسيمة، فالموانئ والمطارات مغلقة من جراء الحرب، وهناك مخاوف كبيرة من عدم قدرة أوكرانيا على دفع ديونها الخارجية، على الرغم من تفهم الدول الغربية والمؤسسات المالية الدولية كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي لصعوبات الموقف داخل أوكرانيا وتعاطفها الكبير معها، الذي سيجعلها لا تطالب بالديون المستحقة في هذه الظروف، ويختلف الأمر كليةً مع المؤسسات المالية الخاصة من بنوك وصناديق استثمار خاصة، ولو أقدمت أوكرانيا على عدم دفع ديونها سيكون لذلك تبعات اقتصادية كبيرة، وسيمثل سابقة قد تجذب غيرها من الدول الناشئة للإقدام على عدم دفع ديونها بسبب الأزمات التي يتعرض لها الاقتصاد العالمي. ومن ناحية أخرى، هناك تكلفة إعادة إعمار أوكرانيا، وعلى الرغم من استمرار القتال، وعدم معرفة متى يتوقف بدأ التفكير في سيناريو إعادة

(1) محمد نور المصراتي، استراتيجية العقوبات الدولية وانعكاساتها على سياسات الدول العراق ايران روسيا نموذجا . مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسة (المجلد 3، العدد 23، 2022م)، ص159.

(2) سلحب، الأزمة الأوكرانية وآثارها الاقتصادية السلبية على العالم، مرجع سابق، ص 271.

الإعمار، وقدر بعض الخبراء هذه التكلفة مبدئياً بما لا يقل عن (100) مليار دولار، ولم يذكر هؤلاء الخبراء من سيتحمل هذه التكلفة[1].

ويرى بعض الباحثين أن للحرب الروسية/الأوكرانية أثرًا كبيرًا في العلاقات الدولية، وأنها ستشكل نقطة تحوّل في تطور النظام الدولي، وفي المقابل، يذهب آخرون إلى أن هذه الحرب تشكّل تحديًا للنظام الدولي الحالي، لكن لن تؤدي إلى تغيّر جوهري في بنيته، وكانت بنية النظام الدولي تتجه نحو تعددية قطبية نسبية قبل بدء حرب روسيا على أوكرانيا، حيث بدأ النظام الدولي الأحادي القطبية الذي نشأ في أعقاب نهاية الحرب الباردة، وهو أمر يواجه تحديات كبرى، إذ شكلت مرحلة 2017–2019 فترة مخاض للنظام الدولي، وظهرت فيها مؤشرات على توجهه إلى تعددية قطبية مع صعود الصين وعودة روسيا إلى المسرح الدولي، إلى جانب الولايات المتحدة الأميركية التي قادت العالم في نظام أحادي القطبية منذ تفكك الاتحاد السوفياتي[2].

3- تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على ليبيا

تسعى روسيا إلى تعزيز دورها ومصالحها في ليبيا بوصفها بوابة للقارة الإفريقية، وعلى جميع الأصعدة السياسية والأمنية والاقتصادية، ومن هذه الزاوية يبدو التأثير واضحاً لهذه الحرب الروسية الأوكرانية على الوضع الداخلي الليبي، فموسكو لم تضيع الوقت كثيراً، بل سارعت لتوسيع نفوذها في ليبيا مستفيدة من الفراغ الذي خلفه انشغال واشنطن بمجريات الصراع في الشرق الأوسط، وتداعيات ما تقوم به إسرائيل في قطاع غزة – وهو ما يضع واشنطن في مواقف صعبة للغاية– إلا أن هناك عوامل أخرى دفعت موسكو لتوسيع نفوذها في ليبيا في هذا التوقيت الراهن، وفي مقدمتها استشعار

(1) تقرير صندوق النقد الدولي 2022م.

(2) John J. Mearsheimer, “Bound to Fail: The Rise and Fall of the Liberal International Order, International Security (vol. 43, no. 4 2019), pp. 7–50.

عدم خسارة الصراع في أوكرانيا، مقارنة بما كان عليه قبل شهور ماضية، وزيادة قدرتها على إدارة ملفات متعددة في توقيت واحد[1].

وإلى حد الآن، تراهن روسيا في ليبيا على حضور عسكري غير مباشر من خلال شركات عسكرية من القطاع الخاص –كما هو حاصل في شرق ليبيا ووسطها– وهذا يُعد علامة رئيسة على استراتيجية بوتين في كثير من المجالات، وهذه الاستراتيجية في الحرب لها فوائد لروسيا؛ إذ بها يمكن للبلاد أن تقدّم نفسها وسيطًا دون التخلّي عن التزامها العسكري، مع قدرتها على شحن النزاع إلى حين التوصل إلى اتفاق مرحب به في المفاوضات، كما يمكن لروسيا أن تضمن تحكمها في نصيب كبير من سوق الطاقة، وكذلك السيطرة على طريق اللاجئين الليبيين، وبذلك ستملك روسيا عصا على صعيد سياسة الهجرة تجاه أوروبا، وهو أمر من شأنه أن يلقي بتبعات سلبية على الأمن القومي الليبي، خاصة في موضوع الهجرة غير الشرعية[2].

يأتي ذلك تزامناً مع تحذير وكالة حرس الحدود التابعة للاتحاد الأوروبي، والعديد من المسؤولين الأوروبيين من أن روسيا تحاول إثارة تدفقات أكبر للاجئين من إفريقيا لزعزعة استقرار أوروبا، والتأثير في الانتخابات، وتقويض الدعم العسكري لأوكرانيا، وأشارت الوكالة إلى أن حوالي (380) ألف مهاجر حاولوا العبور إلى أوروبا من ليبيا عام 2023، وهو أكبر عدد من المهاجرين بشكل غير شرعي منذ 2016، وإن كان لا يُعتقد أن روسيا بإمكانها السيطرة على كل هذه العمليات، لكن التقارير الأوروبية تحاول تحميل موسكو مسؤولية المهددات كلها في الساحة الإفريقية تقريباً[3].

ومع بداية التدخل الروسي في أوكرانيا، دارت مواجهة طاحنة بين موسكو والدول الغربية وعلى رأسها واشنطن انعكست على الأوضاع في ليبيا، ولاسيما مع الحكومة المعترف بها دولياً في طرابلس،

---

(1) عادل ميلاد شنشن، تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على ليبيا (رسالة ماجستير: جامعة الزاوية – ليبيا، 2024)، ص46–47.

(2) المرجع نفسه، ص 72.

(3) نسرين الصباحي، كيف يُعزز الفيلق الإفريقي نفوذ روسيا في القارة السمراء؟ نشر في 27 مايو، 2024، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمةhttps://futureuae.com/ar/Mainpage/Item

بما يعكس موقف حكومة الوحدة الوطنية، في إطار صراعها مع مراكز التأثير السياسي والعسكري والتشريعي في المنطقة الشرقية، التي ترتبط بعلاقات جيدة مع روسيا، وقد سجلت الحكومة إدانة الهجوم العسكري الروسي على أوكرانيا في بيان رسمي لها، وعدّته "انتهاكًا للقانون الدولي" كان ذلك عبر وزارة خارجيتها، وقد تبيّن لاحقًا أن الأمر لم يكن عفوياً، وإنما ينطلق من خلفيات عدة ترتبط بمصالح متعددة الأوجه والأبعاد والمرتكزات[1].

وعلى الصعيد الاقتصادي، استفادت ليبيا مكاسب غير متوقعة من حرب أوكرانيا التي أثرت في أسعار السلع الأساسية وأسعار الطاقة، في حين تمكّن حكامها من توفير قدراً من الهدوء الداخلي، بفضل ارتفاع عائدات النفط والغاز، وقد أكد تقرير صادر عن معهد "الكانو" الإسباني، والمعهد الإيطالي للدراسات السياسية الدولية، ومعهد الشرق الأوسط الأميركي، إسهام عائدات النفط والغاز المرتفعة في تعزيز فترة هدوء مؤقتة داخل ليبيا، وخلال الفترة الأولى من الحرب قفزت أسعار خام برنت إلى (100) دولار أميركي للبرميل الواحد، وتضاعفت أسعار الغاز ثلاث مرات، وقد استفادت ليبيا بهذه المكاسب المفاجئة، حيث سارعت الحكومات الأوروبية لإيجاد بدائل لإمدادات النفط والغاز الروسية، كما يشير التقرير إلى إبرام ليبيا في يناير من العام 2023 صفقة بقيمة (8) مليارات دولار مع شركة النفط الإيطالية "إيني" لزيادة إمدادات الطاقة رغم الانقسامات المستمرة في البلاد، كما أدى الوضع المالي العالمي الذي أعقب ارتفاع التضخم إلى جعل ليبيا من كبار منتجي النفط والغاز في المنطقة غير المتأثرين بسبب انخفاض مستويات ديونها الخارجية[2]. وإذا ما نظرنا للدولتين النفطيتين في شمال إفريقيا، وهما ليبيا والجزائر نجد أن للحرب الروسية/الأوكرانية تداعيات سلبية وإيجابية متفاوتة، فقد استفادت الدولتان ماليًا بهذه الحرب بفضل ارتفاع الأسعار الدولية للنفط والغاز، وحاجة الغرب إليهما، وتشكل هذه الحرب فرصة كبرى لهاتين الدولتين لتعديل تحالفاتهما وتعزيز علاقاتهما

(1) الحبيب الأسود، هل تؤثر انعكاسات الحرب في أوكرانيا على الصراع حول الحكم في ليبيا؟ صحيفة العرب (العدد 12379، السنة 44، 2022م)، ص 4.

(2) بوابة الأوسط، ثلاثة معاهد غربية ترصد مكاسب «غير متوقعة» لليبيا من حرب أوكرانيا، الثلاثاء 18 يوليو 2023 https://alwasat.ly/news/libya/405435

أكثر مع الدول الغربية، خاصة ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا، وجذب مزيد من الاستثمارات لتحديث قطاعي النفط والغاز[1].

وعلى الصعيد الاقتصادي أيضاً أحدثت الحرب في أوكرانيا تداعيات سلبية على اقتصاد ليبيا المعتمد على الاستيراد، حيث تعتمد ليبيا على الخارج في وارداتها الغذائية، خصوصًاً الحبوب التي تصل نسبة الاستيراد منها إلى (90%) من احتياجات البلاد، وذلك بسبب ضعف الإنتاج الزراعي محليًا الناجم عن قلة المياه وغلاء مدخلات الزراعة، فضلًا عن تأثير غياب التنمية والصراع السياسي، ومما يفاقم من زعزعة الأمن الغذائي في ليبيا أن نحو (60%) من واردات الشعير والذرة مصدرها أوكرانيا، الأمر الذي جعل البلاد عرضة لانقطاع الشحنات من منطقة البحر الأسود بسبب الحرب الروسية على أوكرانيا، وبقراءة سريعة يمكن رصد الدور التنافسي الذي تقوم به أوكرانيا في روسيا مصدرًا أساسًا للمواد الغذائية الأساسية (حبوب، زيوت، لحوم) لعدد كبير من الدول العربية بما فيها ليبيا، التي تعتمد على واردات القمح عبر البحر الأسود، حيث تعتمد دول عربية كثيرة وفي مقدمتها ليبيا، على استيراد القمح الروسي أو الأوكراني بالدرجة الأولى لسد حاجتها المحلية، وهي في عمومها دول تعاني من أزمات معيشية قد تزيد معاناة شعوبها جراء ارتفاعات محتملة في أسعار القمح، نتيجة اعتمادها على سلعة الخبز الذي يشكل القمح عموده الفقري، ونتيجة محدودية إنتاجها منه، وأخيراً بسبب قلة حجم المعروض في السوق العالمي[2].

ويعد الخبز أحد السلع الأساسية لمواطنين شمال أفريقيا ومن بينهم سكان ليبيا، وتستورد البلاد أكثر من (90%) من قمحها، نصفه من أوكرانيا وروسيا، وتدعم الحكومة الليبية جزءاً من القمح الذي تستورده، ومنذ اندلاع الصراع بين روسيا وأوكرانيا ارتفعت أسعار القمح في الأسواق المحلية في ليبيا بشكل كبير، ورغم تخصيص القمح المدعوم من الدولة، يقول أصحاب المخابز إنهم لم يعودوا قادرين

(1) سعد صديقي، تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على النظامَين الدولي والمغاربي (الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، 2023م)، ص6.

(2) هند عيسى، الحرب الروسية – الأوكرانية، تضع ليبيا في مواجهة أزمة القمح وارتفاع تكاليف الشحن (تقرير: 27، فبراير، 2022م، وكالة الأنباء الليبية (https://lana.gov.ly/post.php?lang=ar&id=234950

على بيع الخبز بالسعر الرسمي ومقداره 0,25 ديناراً (0,05 دولاراً) للرغيف، كما ارتفعت أسعار مواد غذائية أخرى، مثل زيت دوار الشمس، والفواكه والخضار منذ بداية الأزمة وحتى الآن[1].

ثانياً: تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا بليبيا

كانت ليبيا ولا زالت نقطة محورية في السياسة الروسية، مدفوعة بمصالح جيواستراتيجية واقتصادية وسياسية راسخة قبل الحرب الأوكرانية، حيث تُعد بوابة حيوية لأفريقيا، ومركزًا لصفقات الأسلحة والطاقة، ومع تصاعد التوترات مع الغرب بسبب الحرب الأوكرانية، تزايدت أهمية ليبيا لروسيا بصفتها ساحة لمواجهة غير مباشرة، ووسيلة للتخلص من العزلة الدولية المفروضة على روسيا، وهذا ما يستدعي البحث والتحليل

لتأثير الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا بليبيا، وسيتم تناوله كما يلي:

1- السياسة الروسية الجديدة تجاه ليبيا

تتسم السياسة الروسية تجاه ليبيا بالتعقيد، والتداخل التاريخي والجيوسياسي، حيث تعود جذورها إلى أيام الحرب الباردة، وتمتد إلى ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وعلى مر العقود، نشأت ديناميكية معقدة بين روسيا وليبيا، تأثرت كثيرًا بالتحولات الإقليمية والعالمية، وكانت ليبيا حليفًا استراتيجيًّا للاتحاد السوفييتي خلال الحقب السوفييتية، وتلقت دعمًا عسكريًّا واقتصاديًّا كبيرًا، ومع اندلاع الثورة الليبية في 2011 كان لروسيا موقف متحفظ قليلًا، حيث امتنعت عن التصويت لصالح التدخل العسكري الذي قادته دول الناتو، وفضلت موقف الانتظار لرؤية ما ستتكشف عنه الأحداث، هذه الفترة كشفت عن التحديات التي تواجه السياسة الروسية في التعامل مع التغيرات السريعة في الشرق الأوسط[2].

---

(1) مجموعة الأزمات الدولية، أثر الغزو الروسي لأوكرانيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا https://www.crisisgroup.org/ar/middle-east-north-africa/i 2022 وتعد روسيا وأوكرانيا من أكبر منتجي ومصدري المحاصيل الزراعية الرئيسة في العالم، وفقًا لمنظمة الأغذية والزراعة، يمثل البلدان أكثر من 50% من الإنتاج العالمي لعباد الشمس، وأكثر من 20% من إنتاج الشعير، و14% من إنتاج القمح.

(2) ديمتري بريجع، دور روسيا في ليبيا (مركز الدراسات العربية الأوراسية، 2024)، ص12.

وفي أعقاب الاتفاق بين الفرقاء السياسيين الليبيين في المغرب عام 2015 بدأت روسيا بالعودة إلى المشهد الليبي، وكانت روسيا ترمي من عودتها إلى إحياء نفوذها التاريخي المتمثل في علاقتها مع النظام الليبي السابق الذي كان أقرب لمعسكرها من المعسكر الغربي، ولقد شعرت موسكو بأن خيوط اللعبة تكاد أن تقع من أيديها؛ فقامت بخطوات استباقية؛ فعملت على توطيد علاقاتها وتعاونها مع شريك لها هو قائد قوات الكرامة في الشرق الليبي الذي قام برحلات عدة إلى موسكو منذ عام 2016، وخلال هذه الفترة نفسها، بدأت التقارير الصحفية تظهر التواجد المتزايد للمدرّبين الروس والجماعات العسكرية الخاصة الروسية في ليبيا، وكان ذلك غالباً لحماية أصول النفط وتقديم المشورة، وهو ما ذكرته صحيفة "موسكو تايمز"[(1)].

ونظرًا لأن ليبيا تتمتع بموقع استراتيجي مهم على البحر المتوسط، فضلاً عن امتلاكها احتياطيات نفطية من بين الأكبر في القارة السمراء، واحتياطيات وفيرة من الذهب، وتعداد سكاني في حدود (6.5) مليون نسمة، وموارد طبيعية هائلة، وموقع استراتيجي مهم، وساحل ذي إمكانات هائلة، فقد زادت هذه العوامل من أطماع روسيا في ليبيا، كما أن الوجود الروسي في ليبيا يمنحها نفوذاً على أوروبا، لكون ليبيا تقع في الجزء الأوسط من شمال أفريقيا، كما يعد التدخل الروسي في ليبيا مقدمة للتمدد إلى القارة الإفريقية، فدوافع روسيا الاقتصادية واضحة للدخول إلى أفريقيا؛ إذ لديها نقص في بعض المعادن مثل المنغنيز والبوكسيت والكروم، وكلها مهمة للصناعات الروسية، وكانت روسيا قد هدفت إلى تأسيس وجود ثابت ودائم في ليبيا قريب من ساحل المتوسط الشرقي، ودخلت روسيا في الصراع الليبي عن طريق قوات شركة فاغنر الأمنية الخاصة، وهي قوات غير نظامية، ليست تابعة للجيش الروسي، وبلغ تعدادها في مصادر عدة، ومن أبرزها تقديرات المفتش العام للبنتاغون حوالي (2500) جندي[(2)] ونشطت فاغنر بعد الهجوم العام الذي قاده ما يسمى بالجيش الوطني الليبي لاستعادة السيطرة على ليبيا في أبريل 2019 حيث كانت أنشطتها في البداية ضئيلة

(1) آنا بورشفسكايا، مصالح روسيا المتنامية في ليبيا (المرصد السياسي، 2020م)، ص3.

(2) Richard Sisk, Opposing Russian Syrian Mercenary Armies Face Off in Libya's civil War, Jul 2022.

خلال المرحلة الأولى التي شملت جنوب البلاد، ثم احتدّت بعد الاستيلاء على مدينة سبها في الجنوب الليبي ولاحقاً الهجوم على العاصمة طرابلس[1].

وتعتمد موسكو على المقاتلين العسكريين الخاصين، والأهم من ذلك يمكن أن يكون لذلك تأثير ضار على محاولة الكرملن إبعاد نفسه عن تصور العديد من معارضيه بأن روسيا دولة منبوذة، بدلاً من ذلك تعتمد موسكو على المرتزقة الذين يمثلون أداة روسية التي لا تستغني عنها في السياسة الخارجية، وتسترشد بتطلعات موسكو الجيوسياسية والمصالح الاقتصادية الشخصية، ويمكن القول بل الجزم بأن الشركات العسكرية الخاصة الروسية ظلت دائماً تعمل وفقاً للسياسة الخارجية الروسية وليس للمصلحة الذاتية فقط[2].

وليس هناك عند الباحثين إجماع حول توقيت ظهور مجموعة فاغنر لأول مرة في ليبيا، بيد أن التقارير تشير إلى أن ذلك كان في وقت مبكر من عام 2014 في حين تشير تقارير أخرى إلى أن نشرهم في ليبيا كان في مطلع عام 2015 وهناك بعض الآراء ترى بأن ذلك كان بين عامي 2018 و2019 وأن تلك الفترة تمثل نقطة التحول الرئيسة في موضوع ظهور المجموعة المسلحة، حيث برز حضورها بشكل ملحوظ وكامل على التراب الليبي في أوائل عام 2019 عندما قامت بمحوري في حملة قوات الكرامة في عمليتها العسكرية للسيطرة على العاصمة طرابلس، التي استمرت 14 شهراً من أبريل 2019 إلى يونيو 2020[3].

ورغم أن الهجوم على طرابلس انتهى بانسحاب القوات المهاجمة، فإن شركة فاغنر بقيت في ليبيا، ورغم أن اتفاق وقف إطلاق النار الموقع في 23 أكتوبر 2020 نص على انسحاب جميع المقاتلين والمرتزقة الأجانب من الأراضي الليبية، وأن اللجنة المشتركة الليبية أعطت مهلة (90) يوماً لاستكمال

(1) التدخل الروسيّ في ليبيا والتأسيس لتواجد عسكري مُستَدام، مركز أضواء للدراسات 14 أكتوبر، 2024م، https://adhwaa.net

(2) عدنان شبين، خوصصة القوة العسكرية كمقاربة لإدارة النزاعات المسلحة شركة فاغنر الروسية في ليبيا نموذجاً، مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية (برلين: المركز الديمقراطي العربي، المجلد2، العدد8، سبتمبر 2020م)، ص61.

(3) فيصل غازي ناصر، الدور الروسي في ليبيا بعد عام 2011م، مجلة قضايا سياسية (العدد 79، 2024م)، ص432.

ذلك، فإنه لا يوجد ما يشير إلى أن المقاتلين والمرتزقة الأجانب قد غادروا ليبيا – بما فيهم الفاغنر– ولايزال الآلاف منهم متواجدين في البلاد[1].

من جهة أخرى ينقسم التواجد الروسي الحالي في ليبيا إلى تمركزات ساحلية في سرت، وأجزاء من الهلال النفطي، وأخرى عميقة في مواقع مفصلية ومهمة في البلاد كالجفرة التي تعدّ نقطة مركزية، وفي براك الشاطئ وأوباري القريبتين من حقلي الشرارة والفيل وهما من أكبر حقول النفط، وهو ما يشكل خطراً استراتيجياً متعدد الأبعاد بحيث يمثل تهديداً لأمن الطاقة الأوروبي، ففي حال تمكنت روسيا من إرساء دعائم لحضور دائم في البلاد عبر تعزيز حضورها العسكري وتثبيت تحالفاتها مع الأطراف المحلية خاصة في شرق البلاد، وكذلك من مؤيدي النظام السابق؛ فإن هذا المسعى يشكل تهديداً على الهيمنة الغربية على إمدادات الطاقة أو عرقلتها، بل ربما يتجاوز ذلك بصناعة منطقة نفوذ مطلة على البحر المتوسط، لتتحول إلى مصدر تهديد وقلق عسكري وأمني لدول حلف الناتو، وقد صرحت قيادة الأفريكوم في الجيش الأمريكي في بيان رسمي تحذر فيه من خطورة التمدد الروسي[2].

وفي مايو 2024 قالت صحيفة لوموند إن موسكو تعمل على زيادة نقل القوات والمعدات إلى منطقة شمال أفريقيا بوتيرة متسارعة مفاجئة منذ بداية العام، ما يعزز نفوذها ويمكن أن يؤثر في تدفقات الهجرة نحو أوروبا، وهو ما لا يخفى على الدول الغربية المصابة بـ"العجز" وأوضحت الصحيفة الفرنسية – في تقرير بقلم فريديريك بوبين– أن الوجود الروسي المعروف في ليبيا منذ عام 2019 على شكل وحدات شبه عسكرية (مجموعة فاغنر) تزايد بشكل لافت، وقالت مذكرة نشرتها منظمة "كل العيون على فاغنر" إن روسيا تقوم بنقل جنود ومقاتلين روس إلى ليبيا بشكل منتظم[3].

---

(1) المرجع نفسه، ص432.

(2) يوسف لطفي، الدور الروسي في ليبيا التاريخ والمقاربة والسلوك (منتدى العاصمة للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2021م)، ص26.

(3) لوموند: روسيا تعزز وجودها في ليبيا وسط استياء غربي واسع الجزيرة، نشر في 12– مايو 2024 https://www.aljazeera.net

بعد وفاة قائد مجموعة فاغنر، يفغيني بريغوجين، في أغسطس 2023، عقب عملية تمرد ضد الكرملين، جرت عملية إعادة هيكلة للمجموعة بتشكيل الفيلق الإفريقي الجديد، ليكون ذا مرجعية عسكرية، وتحت مظلة وتبعية مباشرة لوزارة الدفاع الروسية، ولتكون ليبيا المقر الرئيس للفيلق، التي يأتي اختيارها لتحقيق أهداف جيوسياسية في المقام الأول؛ إذ تُسهل على سبيل المثال خطوط الإمداد اللوجستية لمناطق الانتشار الروسي في إفريقيا، ويُشكل مقاتلو فاغنر السابقون العمود الفقري لأفراد الفيلق الإفريقي، كما نشرت قناة "روسيتش"، المحسوبة على فاغنر، على "تليغرام" في 17 إبريل 2024 صور ومقاطع فيديو عدة تظهر شحنة من المركبات والأسلحة تابعة للفيلق الإفريقي، وسلّمت المعدات بواسطة السفينتين إيفان غرين وألكسندر أوتراكوفسكي إلى ميناء طبرق في ليبيا[1].

يمكن القول إن الوجود الروسي في ليبيا يمنحها نفوذاً على أوروبا، حيث إن ليبيا تقع في الجزء الأوسط من شمال أفريقيا وتبعد حوالي 390 ميلاً بحريًا من مالطا و 486 ميلًا بحريًا عن جزيرة لامبيدوزا الواقعة في أقصى جنوب إيطاليا، ولها آلاف الكيلومترات من الحدود المشتركة، ما يسهل عبورها مع الدول الإفريقية المجاورة، لذا فإن تأثير ليبيا تجاه التطورات الحاصلة خارج حدودها وداخلها مهم جداً، فموقع ليبيا الرئيس يضعها على مفترق طرق الساحل في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا، وكما هي الحال في مناطق الصراع الأخرى لا يبدو أن موسكو مهتمة بالتوصل إلى اتفاق سلام في ليبيا، بما أنها تستطيع أن تتفوق على الغرب بشكل استراتيجي مع ضمان الوصول إلى الموانئ والطاقة، كما أن الحضور الروسي في ليبيا سيكسبهم نفوذًا كبيرًا على أوروبا على المدى الطويل، وسيتحكم الروس بملفين استراتيجيين فيما يخص الأوروبيين الأول: ملف الطاقة والثاني: ملف اللاجئين الذي لا يزال يشكل مصدر قلق كبير لكثير من الأوروبيين، كما يعد التدخل الروسي في ليبيا مقدمة للتمدد إلى القارة الإفريقية، فدوافع روسيا الاقتصادية واضحة للدخول إلى أفريقيا، إذ لديها نقص في بعض المعادن التي تشكل عموداً فقرياً للصناعات الروسية، كما أن لدى روسيا خبرة في قطاع الطاقة، يمكن أن توظف ذلك في تعاملاتها مع الدول الغنية في سلعة البترول خاصة في أفريقيا، فروسيا لديها

(1) نسرين الصباحي، كيف يُعزز الفيلق الإفريقي نفوذ روسيا في القارة السمراء (المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة؟ نشر في27 مايو، 2024) https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item

مشاريع في الكاميرون وغانا ونيجيريا، وتتطلع إلى الاستحواذ على حصة في جمهورية الكونغو، وتعرض روسيا أيضًا تكنولوجيا الطاقة النووية للعديد من البلدان الأفريقية بما في ذلك بناء أول محطة نووية في مصر بتمويل قرض بقيمة (25) مليار دولار، لذلك تسعى روسيا لأن تكون جزءًا من المعادلة في ليبيا وتثبيت قواعد عسكرية لها على سواحلها، لتكون نقطة انطلاق روسية إلى العمق الإفريقي وحجر أساس لحماية مصالحها[1].

2- تأثير الأبعاد السياسية والاقتصادية والدولية للحرب الروسية الأوكرانية في المصالح الروسية بليبيا

سيتم تناول تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية في المصالح الروسية بليبيا من خلال ثلاثة أبعاد وهي: البعد السياسي وفيه يُركّز على المصالح السياسية وما يلحقها من مصالح عسكرية لروسيا في علاقتها مع ليبيا، ثم استعراض وتحليل بعد العلاقات الدولية أو البعد الدولي وتضارب المصالح الروسية مع المصالح الغربية في ليبيا تزامناً مع صراعها غير المباشر مع الغرب في أوكرانيا، وأخيراً يُحلّل البعد الاقتصادي من حيث التأثيرات الاقتصادية الناجمة عن الحرب الروسية الأوكرانية في مصالح روسيا بليبيا.

أ. تأثير البعد السياسي للحرب الروسية الأوكرانية في المصالح الروسية بليبيا

لم تكن نظرة موسكو إلى ليبيا منفصلة عن نظرتها إلى عموم منطقة الشرق الأوسط، فهي بشكل أو بآخر رأت الأحداث المتسارعة فيها نتيجة لتدخلات الغرب، كما في حالة ليبيا التي ترى بأنه نتيجة التدخل العسكري فيها من قبل حلف الناتو المناوئ لها في حربها ضد أوكرانيا، وهو ما كان أحد أسباب دخول موسكو هذه الحرب الجارية حيث هدفت موسكو لمنع انضمام أوكرانيا لحلف الناتو، وتشكل ليبيا مجالاً للصراع بين المعسكر الغربي وروسيا، حيث تعد ليبيا إحدى أهم الساحات التي تسعى الولايات المتحدة لتحجيم النفوذ الروسي فيها، وترى القوى الغربية أن الحرب الأوكرانية تمثّل فرصة لتقليم أظافر روسيا والحدّ من تمدّد قوات "فاغنر" التابعة لها، التي تتمركز بمواقع رئيسة في

(1) التدخل الروسيّ في ليبيا والتأسيس لتواجد عسكري، مُستَدام، مركز أضواء للدراسات 14 أكتوبر، 2024م، https://adhwaa.net https://adhwaa.net

ليبيا، كما تسعى الولايات المتحدة إلى تحجيم الطموحات الروسية الاقتصادية في ليبيا المتمثلة في مشروعات في مجال الطاقة بالمناطق الليبية المختلفة، ومنها إلى عموم القارة السمراء[1].

لقد أحدثت الحرب الروسية الأوكرانية تحولاً نوعيًا في المشهد الجيوسياسي، وألقت بظلالها على المصالح الروسية في ليبيا، فبعد أن كانت روسيا لاعبًا رئيسًا وداعمًا عسكريًا وسياسيًا محوريًا لأحد أطراف الصراع الليبي، فإن انشغالها في أوكرانيا أدى إلى تراجع ملحوظ في قدرتها على إدارة عملياتها الخارجية، ولقد تجلى هذا التأثير بشكل واضح في سحب مرتزقة فاغنر وتحويل الأولويات العسكرية، ما أضعف من القدرة العملياتية الروسية على الأرض، وأصبحت الأولوية القصوى لروسيا هي الجبهة الأوكرانية، ما قلل من قدرتها على تخصيص موارد عسكرية كبيرة لليبيا، سواء على صعيد المعدات أو التدريب. ولقد أشارت العديد من التقارير إلى سحب أعداد كبيرة من مرتزقة مجموعة فاغنر من ليبيا لإعادة انتشارهم في أوكرانيا أو في مناطق أخرى لدعم المجهود الحربي الروسي، سياسيًا أيضاً، أثرت العقوبات الغربية والضغط الدولي في قدرة روسيا على الوفاء بالتزاماتها، وقللت من جاذبيتها بصفتها شريكًا موثوقًا به للأطراف الليبية[2].

بنظرة أكثر عمقاً تُدرك السلطات في موسكو أهمية أن تتشبّث بمواقعها التي اكتسبتها حول العالم، وأن تجعل منها عوناً لها للانتصار على حلف الناتو في المعركة الدائرة في أوكرانيا، وقد رصدت عددًا من وسائل الإعلام الأميركية هذا التوجّه لدى موسكو، من خلال الإشارة إلى خلفية السفير الروسي الجديد في ليبيا، والذي يُعد واحداً من أهم مستشاري بوتين في شؤون الشرق الأوسط، والذي تولّى لفترة من الزمن إدارة النسخة العربية من روسيا اليوم، والتي تعدّ من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً في العالم العربي، وتشير التقارير إلى أن السفير الروسي في طرابلس تم اختياره لتأدية مهمة

(1) السيد شبل، التأثير الروسي في ليبيا.. هل يتراجع بفعل الحرب الأوكرانية؟ موقع الميادين، 28 آذار 2023 14:31 https://www.almayadeen.net/research-papers

(2) وكالة الأنباء الليبية، الفايننشال تايمز : روسيا تسحب 200 من مرتزقة "فاغنر" من ليبيا ومعهم ألف سوري، نشر بتاريخ: 28-04-2022 https://lana.gov.ly/post.php?lang=ar&id=241076 14:25:17.

حسّاسة، إذ تحتاج روسيا إلى كل الجهود وهي تخوض معاركها في أوكرانيا، فهي بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تعزيز نفوذها في الشرق الأوسط[1].

ويواصل مقاتلو فاغنر دعم معسكر الكرامة في الشرق الليبي فيما يُسمح لهم باستخدام البلاد بإدارة ثلاث قواعد جوية ومع السماح لهم باستخدامها لنقل كميات الذهب المستخرجة من المناطق الليبية الخاضعة لسيطرة فاغنر إلى روسيا التي تخضع لعقوبات غربية شديدة بسبب غزوها العسكري لأوكرانيا في فبراير عام 2022، وعلى الرغم من الغزو الروسي الكامل لأوكرانيا إلا أن ذلك لم يجعل روسيا تخفض من مهامها في ليبيا بالشكل الذي يظهره تراجع نفوذها –وإن قل عن السابق كما مر ذكره– فلا زالت روسيا في خلال العامين 2023– 2024 تسيطر على مرافق إنتاج النفط الرئيسية الليبية، وبالتالي تمكين الكرملين من التحكم والتأثير على أسعار النفط العالمية[2].

من الناحية الجيوستراتيجية، تُعدّ ليبيا مجالاً محورياً لطموحات روسيا كقوة عظمى في البحر الأبيض المتوسط، ويُعدّ الوصول إلى موانئ المياه الدافئة مثل طبرق ودرنة، أمرًا أساسيًا لبسط القوة البحرية الروسية في المنطقة وخارجها، لا سيما عند اقترانها بالقاعدة السورية في طرطوس، وتُوفّر هذه الموانئ نقاط ارتكاز لوجستية وجيوستراتيجية حيوية[3]. وفي 8 أبريل 2024، رست سفينتان هما "إيفان غرين" إلى جانب "ألكسندر أوتراكوفسكي" في مدينة طبرق، قادمتان من قاعدة طرطوس البحرية الروسية في سورية، وعدّت الجريدة الفرنسية التي أذاعت الخبر أن هاتين السفينتين العسكريتين ظلتا في البحر الأسود منذ بدء الحرب الروسية في أوكرانيا، حيث جلبتا معدات لوجستية ومدفعية، وفي مقال نشرته جريدة "نوفايا غازيتا" الروسية المستقلة، ومقرها لاتفيا، تحدث عن مخرجات الحرب الروسية في أوكرانيا واستمرار النفوذ الروسي في ليبيا ومنطقة البحر المتوسط، مرجحاً أن تلجأ موسكو

(1) السيد شبل، التأثير الروسي في ليبيا.. هل يتراجع بفعل الحرب الأوكرانية؟ 28 مارس 2023م، https://www.almayadeen.net/research-papers

(2) التدخل الروسي في ليبيا والتأسيس لتواجد عسكريّ مُستَدام، 14 أكتوبر, 2024، مركز أضواء للدراسات https://adhwaa.net

(3) فنر عماد خليل، تحولات النظام الدولي في ظل الحرب الروسية الأوكرانية عام 2022 دراسة مستقبلية، مجلة قضايا سياسية (العدد 75، 2023) ص197.

إلى تطبيق الاستراتيجية نفسها التي تتبعها داخل ليبيا في باقي المناطق التي تسعى لإنشاء موطئ قدم لها في شرق المتوسط، وقال الباحث في معهد "تشاتام هاوس" البريطاني، غالب دالاي، إن التواجد البحري الروسي في ليبيا وشرق المتوسط يتوقف على قوة الأسطول في البحر الأسود، ولهذا فإن الحرب بأوكرانيا لها مكاسب سياسية، ولها تأثير مضاعف عن الوضع السابق قبل الحرب، وحسب المقال فقد تمكن الرئيس فلاديمير بوتين من بناء تواجد قوي في شرق المتوسط بفضل إحكام السيطرة على البحر الأسود وهو ما مكنه من تحريك الأسطول بين المنطقتين، ونتيجة لذلك اندمجت المنطقتان إلى فضاء جيوسياسي موحد له ديناميكيات أمنية متشابكة بشكل متزايد[1].

ب. تأثير البعد الدولي للحرب الروسية الأوكرانية في المصالح الروسية بليبيا

تُعد ليبيا في المنظور الروسي بوابة حيوية لاستراتيجيتها في القارة الأفريقية، ونقطة انطلاق استراتيجية لتعزيز وجودها ونفوذها الإقليمي والدولي، حيث يهدف الوجود الروسي إلى تأسيس موطئ قدم ثابت ودائم في ليبيا بالقرب من ساحل المتوسط الشرقي، لتعزيز قدراتها البحرية ومواجهة النفوذ الغربي، ونقطة تمركز لتوسيع النفوذ إلى دول جنوب الصحراء الأفريقية تلك المنطقة التي تحظى باهتمام موسكو خلال هذا العقد بشكل متزايد[2] وكثيرًا ما اصطدمت مشاريع روسيا الطموحة في ليبيا بالمخططات الغربية التي تسعى لإجهاضها؛ فالبيت الأبيض يكرر بين حين وآخر بكل وضوح رفضه التواجد الروسي المُكثَّف في الأراضي الليبية، ويُدين المسؤولون الأميركيون نشاط قوات شركة "فاغنر" رغم أن نشاطها جاء وفق اتفاق مع القوات والجهات الليبية المسيطرة في شرق البلاد، وفي إطار حفظ الأمن كما يصف أنصارها.

توفر ليبيا بموقعها الاستراتيجي وفراغها السياسي فرصة رئيسة لإظهار قدرة روسيا على العمل بشكل مستقل عن النفوذ الغربي وبناء تحالفات بديلة، هذا يشير إلى أن تصرفات روسيا في ليبيا لا تتعلق بليبيا نفسها فحسب، بل تتعلق بإرسال رسالة أوسع إلى المجتمع الدولي فيما يتعلق بقدراتها

(1) أسرة التحرير، النفوذ الروسي في ليبيا.. وقود وأسلحة وعوامل خارجية، جريدة الوسط (القاهرة صوت ليبيا الدولي، السنة 9، العدد 447، يونيو 2024م)، ص6.

(2) بريجع، دور روسيا في ليبيا، مرجع سابق، ص3.

ورؤيتها لنظام عالمي جديد، في هذا السياق تعمل وصفتها نموذجًا مصغرًا لرؤية روسيا متعددة الأقطاب[1].

وكانت إدارة الرئيس السابق بايدن قد وضعت خطة للحد من التوسع الروسي في ليبيا تزامناً مع إضعاف موسكو في أوكرانيا، وتنتهز الولايات المتحدة انشغال روسيا في حربها في إضعاف وجودها بليبيا، ويؤكد المحلّلون السياسيون أن الخطة الأميركية التي تمتد لنحو عقد، تتماشى مع الأحداث الدولية الحالية، حيث ترى القوى الغربية أن الحرب الأوكرانية تمثّل فرصة للحد من نفوذ روسيا ووقف تمدّد قوات فاغنر التابعة لها، التي تتمركز بمواقع رئيسة في ليبيا، أهمها قاعدة القرضابية الجوية في حوض سرت الغني بالطاقة، وأيضاً قاعدة الجفرة وسط البلاد، حيث تشير التقديرات الأميركية إلى وجود قرابة ألفين عنصر من فاغنر على الأراضي الليبية، كما أن تأمين مصادر الطاقة في ليبيا، يقلّل من اعتماد الأوروبيين على النفط والغاز المقبلين من روسيا، وذلك لإضعاف الاقتصاد الروسي. وقد دخل الغاز الليبي في قائمة مصادر الطاقة التي يمكن الاعتماد عليها أوروبياً منذ اندلاع الحرب في أوكرانيا، بعدما كثّفت شركات عالمية كبرى مشاوراتها مع المؤسسة الوطنية الليبية للنفط بشأن زيادة الإمدادات للسوق الأوروبية [2].

ووفق ما سبق من تحليل يمكن إضافة أن روسيا تدرك أهمية ليبيا بصفتها نقطة انطلاق رئيسة لتدفقات الهجرة نحو أوروبا، من خلال سيطرتها على الموانئ والمنافذ البحرية الليبية، وتستطيع موسكو استخدام تدفقات الهجرة أداةً للضغط على الاتحاد الأوروبي لتحقيق مكاسب سياسية

(1) Diana Galeeva, From Military Intervention and Economic Statecraft to Diplomacy: Russia's Transforming Middle Eastern Policies since October 7, 19 November, 2024, https://manaramagazine.org.

(2) عبد الرحمن أميني، الغاز الليبي هدف لـ«أوروبا» حال توقف الإمدادات الروسية، جريدة الوسط (العدد 325، السبت 12 فبراير 2022، ليبيا)، ص8.

واقتصادية، كما أن ورقة الضغط هذه تزداد أهمية في ظل التوترات المتزايدة بين روسيا وأوروبا بسبب الحرب الروسية الأوكرانية[1].

ولقد رُصدت العديد من المؤشرات المتضاربة على انعكاس الحرب الروسية على الانتشار العسكري لروسيا وحلفائها في ليبيا، وذلك باتجاه يصب في تراجُع محفزات تصعيد عسكري واسع النطاق في ليبيا خلال المرحلة المقبلة، وبما يشكل تأثيرات ذات طبيعة عالمية، ويمكن الإشارة إلى أبرز تلك المؤشرات على النحو التالي:

- سماح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين باستجلاب مقاتلين من الشرق الأوسط (منها مرتزقتها في ليبيا) للمشاركة في العمليات العسكرية في أوكرانيا، مع إعلان وزير الدفاع الروسي سيرجي شويغو، في 11 مارس 2022، عن استعداد ستة عشر ألف مقاتل من الشرق الأوسط للتطوع في الحرب[2].
- إعلان وزارة الدفاع الأوكرانية، في 20 مارس عزم حفتر إرسال مقاتلين للقتال إلى جانب القوات الروسية، ضمن القوات التي كان قد أعلن عنها وزير الدفاع الروسي، وأن شركة فاغنر هي من ستتولى الإشراف على نقل المقاتلين[3] غير أن معسكر الكرامة نفى بشكل رسمي صحة تلك التصريحات الأوكرانية.
- أعلنت وزارة الدفاع البريطانية أن مقاتلي شركة فاغنر الروسية ينتشرون في شرق أوكرانيا، وأن ذلك يأتي على حساب العمليات التي كانت تنفذها الشركة في كل من أفريقيا – بما فيها ليبيا.
- نشرت منظمة "سوريون من أجل الحقيقة والعدالة" تقريراً يؤكد قيام روسيا بنقل مقاتلين سوريين كانوا يعملون في الساحة الليبية لصالح قوات معسكر الكرامة، وذلك للقتال في أوكرانيا، ويستند التقرير إلى

(1) ديمتري بريجع، دور روسيا في ليبيا، مرجع سابق، ص5.

(2) بوتين يسمح بإرسال "مقاتلين من الشرق الأوسط" إلى أوكرانيا"، موقع قناة العربية نت، نشر في 11 مارس 2022 https://cutt.us/884bJ

(3) أوكرانيا، حفتر "تعهد" بإرسال مقاتلين ليبيين.. و"فاغنر" تتولى العملية"، الحرة، 20 مارس 2022م، https://cutt.us/WDUyn

شهادات من مقاتلين سوريين تطابقت مع سجل رحلات طيران بين بنغازي ودمشق تمت بين سوريا وروسيا قبيل انهيار النظام السوري السابق[1].

- لقاء السفيرة البريطانية لدى ليبيا كارولين هاروندال بقائد قوات الكرامة في مقر القيادة العامة في بنغازي في 27 مارس، مع إعلان السفيرة عن أن اللقاء تركز على الغزو الروسي لأوكرانيا، وأهمية سحب جميع المرتزقة من ليبيا، وضرورة تجنُّب عودة الحرب في البلاد[2].
- تربط القراءة الدقيقة في بيان الدول الغربية الخمس خلال سنة 2022 بين ما يجري في أوكرانيا وما يدور في ليبيا، والقاسم المشترك بينهما هو روسيا التي تتدخل عسكرياً في البلدين؛ ولأن التوجهات الغربية تشحذ كل أدواتها للضغط على موسكو ومحاولة معاقبتها على تدخلها في أوكرانيا، فلن يكون مستبعداً استثمار الأزمة في ليبيا لممارسة أنواع جديدة من الضغوط على موسكو، حيث اعترفت تقارير دولية بوجود الآلاف من العناصر الأمنية التي دفعت بها شركة فاغنر الروسية إلى الأراضي الليبية[3].

من جهة أخرى لقد أثرت الحرب الروسية الأوكرانية على التفاعلات بين القوى الإقليمية والدولية التي لديها مصالح في المنطقة، مثل الولايات المتحدة وروسيا والصين، هذا التنافس المحتدم يعمق من تحول ليبيا إلى ساحة حرب بالوكالة. فمع تزايد المصالح الاستراتيجية الروسية في ليبيا، التي أصبحت غير مسبوقة بعد انهيار نظام الحكم في سوريا في ديسمبر 2024، يمكن لليبيا أن تصبح الوجه الجديد للقواعد العسكرية الروسية المتوقع انسحابها من سوريا، إذ يشير البعض إلى انتقال استراتيجي محتمل للأصول الروسية إلى ليبيا ما يشكل تحدٍّ مباشر للنفوذ الغربي، كما أن المنافسة الدبلوماسية والأمنية الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وروسيا في أوكرانيا تحمل دروساً يجب على أفريقيا أن

(1) تقرير حقوقي: فاغنر تنقل مقاتلين سوريين من ليبيا إلى روسيا، 21 مارس 2022 https://cutt.us/CqUfe .

(2) بلال عبد الله، الحرب الروسية–الأوكرانية واتجاهات خفض التصعيد الدولي في ليبيا (الإمارات العربية: مركز الإمارات للسياسات، أبريل 2022)، ص3.

(3) محمد أبو الفضل، كيف يؤثر التدخل الروسي في أوكرانيا على أطراف فاعلة بالأزمة الليبية، صحيفة العرب (العدد 12348، السنة 44، 2022)، ص4.

تستخلصها، ما يشير إلى تداعيات أوسع للتنافس على القارة هذا التنافس الشديد يجعل من الديناميكيات الداخلية الليبية تتشكل بشكل متزايد بفعل صراعات القوى الخارجية التي تشابكت وتفاقمت مصالحها المتضاربة بسبب الصراع الأوكراني[1].

وفي المحصلة يمكن القول إن المصالح الروسية في ليبيا تثير قلق الولايات المتحدة وبعض القوى الأوروبية، خاصة فرنسا، التي تسعى لموازنة التحركات الروسية، وقد أكد البيان الختامي لحلف الناتو في قمة واشنطن في يوليو 2024 على مواصلة مراجعة التهديدات والتحديات من جيران الحلف الجنوبيين، خاصة في شمال أفريقيا والساحل، ما ينذر باشتداد المنافسة بين الناتو وروسيا، وتزامن ذلك مع المواجهة الدائرة بين روسيا والغرب في أوكرانيا، هذا يعني أن الأصول الاستراتيجية لليبيا، لا سيما موانئها ومسارات الهجرة، تسجّل بشكل متزايد من قبل روسيا في مواجهتها الأوسع مع الغرب، ما يحول البلاد إلى نقطة ضغط مباشرة ضد الاستقرار الأوروبي والجناح الجنوبي لحلف الناتو[2].

ج- تأثير البعد الاقتصادي للحرب الروسية الأوكرانية في المصالح الروسية بليبيا

يعدّ البعد الاقتصادي من بين أبرز الأبعاد المهمة في معادلة الصراع الدائر في شرق أوروبا وتأثيره في مصالح روسيا في ليبيا ويمكن القول بأن استمرار الحرب في أوكرانيا، تكتنفه العديد من الشكوك حول مدى استعداد أو قدرة موسكو على توفير رأسمال تنفقه لدعم حلفائها في ليبيا، هذا الانشغال بالصراع الأوكراني قد يحد من الموارد المالية التي يمكن لروسيا تخصيصها لتعزيز مصالحها الاقتصادية في ليبيا، سواء من خلال صفقات الأسلحة أو عقود إعادة الإعمار[3].

بنظرة فاحصة على المنطلقات الروسية في السياسة الخارجية نجد أن ملف الطاقة هو أحد الطرق الأساسية التي تفرض بها روسيا نفوذها، وهو ملف يطغى فيه البعدان الأمني والسياسي على

(1) هايدى غنيم، تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية على التوازنات الدولية والإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مجلة الدراسات الاقتصادية والسياسية (العدد 4، المجلد1، 2024)، ص46.

(2) أثر الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 14 أبريل 2022م، https://www.crisisgroup.org.

(3) مجموعة الأزمات الدولية، أثر الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا https://www.crisisgroup.org/ar/middle-east-north-africa/i 2022

البعد الاقتصادي رغم منطلقاته الاقتصادية، وفي ظل الصراع العسكري الذي شهدته ليبيا وجدت روسيا لنفسها مكاناً – عبر دعم معسكر الكرامة – في المنطقة الممتدة عبر حوضي سرت ومرزق اللذين يزخران بمخزونات كبيرة من النفط والغاز، حيث يضمن هذا التمركز الوجود بالقرب من أهم حقول النفط المنتجة، والتواجد وسط المخزونات النفطية والغازية التي لم تستخرج بعد، فحوض سرت وحده يوجد به (159) حقلاً مكتشفاً لم تدخل الإنتاج بعد، بينما يوجد في حوض مرزق (30)حقلاً نفطياً وغازياً لم تدخل الإنتاج أيضاً[1]. وتشكل ليبيا لروسيا تموضعاً استراتيجياً للوصول إلى قلب أفريقيا والتحكم في حقول النفط والغاز، ما يمكنها من ممارسة ضغوط على السوق الأوروبية، هذا الربط بين المصالح الاقتصادية والطموحات الجيوسياسية يشير إلى أن روسيا لا تسعى فقط لتحقيق مكاسب مالية من خلال صفقات الطاقة والأسلحة، بل تستخدم هذه الصفقات أدوات للضغط السياسي على أوروبا والجهات الفاعلة الغربية الأخرى[2].

ووفق ما ذكر أعلاه، فإن موسكو تدرك أهمية ليبيا بوصفها لاعبًا رئيسًا في سوق الطاقة، حيث تملك البلاد واحدًا من أكبر احتياطيات النفط في إفريقيا؛ ما يجعلها هدفًا استراتيجيًّا للشركات الروسية الرائدة، مثل غازبروم، و روسنفت، اللتين تسعيان إلى استعادة العقود التي أبرمتها روسيا مع النظام الليبي السابق، التي بلغت قيمتها مليارات الدولارات، ولعل تعزيز موسكو لعلاقاتها مع الشرق الليبي، حيث تقع معظم حقول النفط الكبرى، يعكس توجهها نحو ضمان حضور دائم في قطاع الطاقة الليبي، ما يمنحها أوراق ضغط قوية في سوق النفط العالمية، خاصة في ظل تقلبات الإنتاج والأسعار في ظل التنافس مع منتجي النفط الآخرين.[3]

وتعطي روسيا اهتماماً كبيراً تجاه ليبيا كونها تمتلك (46.4) مليار برميل من احتياطي النفط المؤكد وهو الأكبر في إفريقيا والعاشر عالمياً، كما أن ليبيا مع موانئها ومحطاتها النفطية كانت على

(1) لطفي، الدور الروسي في ليبيا التاريخ والمقاربة والسلوك، مرجع سابق، ص26,

(2) ناصر، الدور الروسي في ليبيا بعد عام 2011، مرجع سابق، ص431.

(3) خالد الأشموري، كيف تعزز موسكو مصالحها في ليبيا من خطر التدخل الخارجي ؟، عرب جورنال، يوليو 13, 2025، https://arab-j.net/33291

مدى عقود هي المصدر الرئيس للطاقة إلى إيطاليا وجنوب فرنسا وبلدان أخرى في جنوب أوروبا، ويرجع ذلك لأن تكلفة استخراج البترول في ليبيا وتوصيله إلى الأسواق الأوروبية منخفضة مقارنة بمصادر أخرى، ما يجعل ليبيا أحد المنافسين لروسيا في السوق الأوروبية، وعلاوة على ذلك كلما توقفت ليبيا عن إنتاج النفط فإن الأسعار العالمية تشهد ارتفاعاً ملحوظاً، ما يعود بالمصلحة على روسيا بشكل غير مباشر، وبمن ثم تسعى موسكو إلى القيام بدور متزايد في الاقتصاد الليبي، وتهدف روسيا إلى السيطرة ومحاصرة رغبة الغرب من إيجاد بدائل لإمداداتها النفطية أو الغازية وخاصة ليبيا القريبة من أوروبا، وهذا الأمر ازدادت أهميته بعد دخول روسيا في حرب واسعة مع أوكرانيا[1].

من ناحية أخرى، خلال حرب روسيا ضد أوكرانيا، سعت واشنطن إلى إيلاء النفط الليبي أهمية أكبر، معتبرةً إياه حلقةً أساسيةً في سياسة الغرب الجديدة الرامية إلى محاصرة موسكو وإضعافها اقتصاديًا وعسكريًا، وقد تحقق ذلك من خلال تقليل اعتماد الدول الغربية على النفط والغاز الروسيين، ما حرم روسيا من مصدرها الرئيس للموارد المالية، وتبرز أهمية ليبيا هنا من منظور جهود واشنطن لتصميم هذه العقوبات والحد من تأثيرها السلبي في استقرار سوق النفط العالمي، الأمر الذي يتطلب استقرار عمليات الإنتاج والتصدير في ليبيا[2].

ورغم أهمية ملف "الطاقة" في توجيه السياسة الخارجية الروسية – حيث يشكل أحد الطرق التقليدية الثلاث: السلاح، والطاقة، والبنية التحتية، المستخدمة من قبل روسيا لبسط نفوذها– غير أن هذا الملف لا يعد محركاً أساسياً للسياسة الروسية في ليبيا، إذ تنطلق روسيا في تحركاتها بليبيا من دوافع جيوسياسية بالدرجة الأولى، فالتحركات الروسية في ليبيا شبيهة بتلك التي قامت بها في أوكرانيا في عام 2014، وكذلك في سوريا ما قبل التدخل المباشر في 2015 من جهة الأساليب المستخدمة واستغلال ظروف الساحة السياسية الدولية، حيث استغلت اضطراب الساحة واحتياج الأطراف المحلية للدعم ولتعزيز حضورها باستخدام أساليب غير تقليدية لخدمة أهدافها الاستراتيجية، مع الأخذ في

(1) التدخل الروسيّ في ليبيا والتأسيس لتواجد عسكريّ مُستدام، مركز أضواء للدراسات https://adhwaa.net
(2) ديمتري بريجع، دور روسيا في ليبيا، مرجع سابق، ص5.

الاعتبار الفارق بين الأمثلة المذكورة من حيث الأهمية الاستراتيجية لكل منها لموسكو وحجم نفوذ الأخيرة ومدى تأثرها فيها[1].

الخاتمة

تعد الحرب الروسية الأوكرانية التي اندلعت في فبراير 2022، حدثًا جيوسياسيًا محوريًا تمخضت عنه تأثيرات وتداعيات واسعة النطاق، تجاوزت حدود أوروبا الشرقية، فلم يقتصر تأثير هذه الحرب في إعادة تشكيل النظام الأمني الأوروبي، بل امتد ليشمل مناطق استراتيجية أخرى حول العالم يأتي في مقدمتها منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط وتحديداً ليبيا، التي تولي روسيا أهمية كبيرة لها نظرًا لموقعها الجيوسياسي ومواردها الهائلة من النفط والغاز، بالإضافة إلى كونها بوابة نحو القارة الإفريقية.

لقد شكلت الحرب الروسية الأوكرانية نقطة تحول في مسار المصالح الروسية بليبيا، فبينما كانت روسيا قد بنت نفوذًا قويًا في البلاد؛ فإن التحديات الناتجة عن الحرب من تحويل للموارد الاقتصادية، وضغوط العقوبات، وتغير الديناميكيات الدولية، أثرت بشكل كبير في قدرتها على الحفاظ على هذا النفوذ بالشكل السابق، ورغم أن روسيا لن تتخلى كليًا عن مصالحها في ليبيا نظرًا لأهميتها الاستراتيجية، فإنها ستضطر إلى إعادة تقييم استراتيجياتها والتكيف مع الواقع الجديد الذي فرضته تداعيات الحرب الأوكرانية، هذا التكيف سيحدد إلى حد كبير مستقبل الدور الروسي في المشهد الليبي المعقد.

وعلى مستوى تأثيرات ما بعد العلاقات الدولية أظهر التحليل أن الحرب الروسية الأوكرانية لم تقلل من اهتمام روسيا بليبيا، بل ربما زادت من أهميتها بصفتها ساحة استراتيجية لمواجهة الغرب، وتعزيز النفوذ في أفريقيا، واستخدام ورقة الهجرة للضغط على أوروبا، يؤكد هذا التطور أن ليبيا أصبحت نقطة محورية في الاستراتيجية الروسية الأوسع لمواجهة العزلة الدولية وإعادة تأكيد مكانتها بصفتها قوة عالمية.

(1) لطفي، الدور الروسي في ليبيا التاريخ والمقاربة والسلوك، مرجع سابق، ص27.

ومن النتائج الرئيسة التي توصلت إليها الدراسة هي الأهمية المتزايدة لدور الفاعلين غير الحكوميين، مثل مجموعة فاغنر والفيلق الأفريقي الجديد، بصفتها أدوات رئيسة للنفوذ الروسي، ويمثل الانتقال من فاغنر إلى "الفيلق الأفريقي" تطوراً في تكتيكات الحرب الهجينة الروسية، يهدف إلى الحفاظ على نفوذها وتعميقه في أفريقيا، وتجاوز التعقيدات القانونية، وتوحيد السيطرة المباشرة للدولة على قواتها الوكيلة.

وعلى المستوى الاقتصادي أظهر التحليل أن الحرب الروسية الأوكرانية قد أثرت بشكل معقد في المصالح الاقتصادية الروسية بليبيا، فمن ناحية زادت الحرب من أهمية ليبيا بصفتها ساحة استراتيجية لروسيا لمواجهة العزلة الغربية وتعزيز نفوذها في أفريقيا، خاصة فيما يتعلق بالتحكم في موارد الطاقة، وفرض على موسكو البحث عن طرق لمحاصرة أوروبا اقتصادياً وإبعادها عن مصادر نفط بديلة مثل ليبيا، من أجل رضوخها لشروطها السياسية والاقتصادية في أي تفاوض على المنظور القريب لكون الدول الغربية تعتمد على الغاز والنفط الروسي بشكل كبير.

النتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أحدثت الحرب الروسية الأوكرانية تحولاً نوعيًا في المشهد الإقليمي والعالمي، وألقت بتأثيراتها في المصالح الروسية بليبيا، ففي الجانب السياسي ولكون روسيا لاعباً رئيساً، وعسكرياً داعماً لأحد الأطراف في الصراع الليبي الداخلي، فقد حجمت الحرب من دورها السياسي والعسكري بشكل محدود، نظراً لانشغالها بالصراع المباشر مع أوكرانيا وغير المباشر مع الغرب، وأصبحت الأولوية القصوى لروسيا هي الجبهة الأوكرانية، ما قلل من قدرتها على تخصيص موارد عسكرية كبيرة في رعاية مصالحها بليبيا.
2. رغم أن روسيا تنظر إلى أن حربها في أوكرانيا من أهم أولوياتها تظل مصالحها في ليبيا ذات أهمية كبيرة، ولازالت روسيا خلال العامين 2023– 2024 تملك أدوات رئيسة في الصراع الليبي الداخلي، وتعتمد على توازنات محلية ودولية، وشكّل دعمها لأحد الأطراف السياسية الليبية مفتاح دخولها إلى الملف الليبي بكل تعقيداته، بما يحمي مصالحها وبديمها في ليبيا.

3. بالنظر إلى البعد الدولي من خلال الاستقطاب الدولي في ظل تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية وأثرها في المصالح الروسية بليبيا، فإن روسيا ترى بأن ليبيا تمثل بوابة حيوية لاستراتيجيتها في القارة الأفريقية، خاصة دول جنوب الصحراء، ونقطة انطلاق استراتيجية لتعزيز وجودها ونفوذها الإقليمي وخاصة في إفريقيا، وهو ما جعل ليبيا ساحة للصراع على المصالح والنفوذ بين روسيا وبين الدول الغربية، فالولايات المتحدة تؤكد رفضها التواجد الروسي في ليبيا، وتنتهز مع بقية دول الغرب انشغال روسيا في حربها في إضعاف وجودها في ليبيا ووقف تمدّد قوات فاغنر التابعة لها في ليبيا والحد من نشاطه في إفريقيا عبر الأراضي الليبية.
4. في الجانب الاقتصادي وتداعياته على مصالح روسيا في ليبيا وتزامناً مع حربها ضد أوكرانيا فأن ملف الطاقة – خاصة النفط والغاز الليبي– شكل أحد الأهداف الأساسية التي تفرض بها روسيا نفوذها بشتى الطرق في ليبيا، وتعمل روسيا على فك حصار فرضه الغرب بما يؤدي إلى الاستمرار في الاعتماد على مصادر الطاقة التي تملكها؛ حتى تفرض روسيا شروطها في طاولة مفاوضات قد تجرى مع الغرب، الذي يسعى لإيجاد مصادر طاقة بديلة وفي مقدمتها ليبيا، التي ازدادت أهميتها الاقتصادية الاستراتيجية عند الغرب بعد دخول روسيا في حربها ضد أوكرانيا.
5. بناء على قراءة استشرافية، ستواصل روسيا التشبث بمصالحها في ليبيا رغم انشغالها بالحرب مع أوكرانيا بشكل مباشر، ومع الغرب بشكل غير مباشر، ومع تكييف أدواتها العسكرية والسياسية في رعاية هذه المصالح، على المستوى العسكري والاقتصادي، وستظل ليبيا بوابة حيوية لاستراتيجية روسيا الأفريقية ومسرحاً لتنافس حاد مع الغرب، بحكم موقع ليبيا الاستراتيجي ومواردها الاقتصادية، وسيبقى النفط والغاز الليبي هدفاً رئيساً لروسيا لفرض نفوذها، ما يعمق أهمية ليبيا في الصراع الجيوسياسي الدولي الأوسع.

التوصيات والمقترحات

1. إن ليبيا تُعد مسرحاً لتنافس حاد بحكم موقعها الاستراتيجي ومواردها الاقتصادية، وإن روسيا تعمل على تكييف أدواتها العسكرية والسياسية لرعاية مصالحها، لتجنب أن تصبح ليبيا ساحة

للصراعات، يجب على الدولة الليبية العمل على بناء علاقات متوازنة مع مختلف القوى الدولية، وتجنب الانحياز التام لأي طرف، ما يقلل من احتمالية أن تصبح ساحة صراع بالوكالة.

2. تسعى روسيا لاستغلال الفراغ السياسي والأمني في ليبيا، ومن ثم فإن تحقيق الاستقرار الداخلي وحل الأزمة السياسية يعززان موقف ليبيا، ويجعلانها أقل عرضة للتدخلات الخارجية، ويحدان من قدرة الأطراف الدولية على استغلال الانقسامات.
3. إن النفط والغاز الليبي يشكلان هدفًا رئيسًا لروسيا وللدول الغربية، يجب على الدولة الليبية تعزيز سيطرتها الكاملة على مواردها النفطية والغازية وإدارتها بشفافية واستقلالية، وهذا يقلل من فرص استغلال هذه الموارد بصفتها أداة للضغط أو التدخل الأجنبي.
4. إن روسيا قد تستغل ملف الهجرة غير الشرعية تجاه أوروبا، ويجب على ليبيا معالجة قضية الهجرة غير الشرعية بشكل فعال بالتعاون مع المجتمع الدولي، لضمان عدم استخدام هذا الملف ورقة ضغط أو زعزعة استقرار من قبل أطراف خارجية.
5. أظهرت الحرب الأوكرانية الروسية ضعف الاقتصاد الليبي المعتمد على الاستيراد، خاصة الحبوب من روسيا وأوكرانيا، يجب على ليبيا تنويع مصادر وارداتها الغذائية والأساسية، والعمل على تعزيز إنتاجها الزراعي المحلي لتقليل الاعتماد على الخارج وتقليل تأثير الصدمات العالمية.
6. استمرار وجود "فاغنر" (الفيلق الأفريقي الجديد) في ليبيا، يجب على الدولة الليبية العمل على إنهاء جميع أشكال الوجود العسكري الأجنبي والميليشيات الخاصة على أراضيها، والتحكم في حدودها وموانئها بشكل كامل، لضمان سيادتها ومنع استخدام أراضيها بصفتها نقطة انطلاق لعمليات إقليمية أو دولية.
7. استفادت ليبيا بارتفاع أسعار النفط والغاز، فيجب استغلال هذه المكاسب لتعزيز البنية التحتية، وتنويع الاقتصاد، والاستثمار في التنمية المستدامة، بدلاً من استخدامها لتغذية الانقسامات الداخلية، ما يعزز مناعة البلاد ضد التقلبات الجيوسياسية.

قائمة المراجع:

أ- **الكتب**

1- ندى شوقي عبد اللطيف، وآخرون سيكولوجية القيادة السياسية وأثرها على صنع القرار الخارجي، قرار الرئيس فلاديمير بوتين بالحرب على أوكرانيا 2022 نموذجًا. برلين: المركز الديمقراطي العربي، أغسطس 2024م.

ب- **الصحف والمجلات**

1- أحمد جلال عبده، السياسة الأمريكية تجاه التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا وانعكاساتها على حلف الناتو، مجلة السياسية والاقتصاد. المجلد 17، العدد 16، 2022م.

2- أسرة التحرير، النفوذ الروسي في ليبيا.. وقود وأسلحة وعوامل خارجية، جريدة الوسط. القاهرة صوت ليبيا الدولي، السنة 9، العدد 447، يونيو 2024م.

3- آنا بورشفسكايا، مصالح روسيا المتنامية في ليبيا. مجلة المرصد السياسي، 2020م.

4- الحبيب الأسود، هل تؤثر انعكاسات الحرب في أوكرانيا على الصراع حول الحكم في ليبيا؟ صحيفة العرب. العدد 12379، السنة 44، 2022م.

5- طارق مفتاح سلحب، الأزمة الأوكرانية وآثارها الاقتصادية السلبية على العالم، مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية. ليبيا: المجلد 9، العدد 3، 2024م.

6- عبد الرحمن أميني، الغاز الليبي هدف لـ«أوروبا» حال توقف الإمدادات الروسية، جريدة الوسط، العدد 325، السبت 12 فبراير 2022م.

7- عدنان شبين، خوصصة القوة العسكرية كمقاربة لإدارة النزاعات المسلحة شركة فاغنر الروسية في ليبيا نموذجاً، مجلة الدراسات الاستراتيجية والعسكرية. برلين: المركز الديمقراطي العربي، المجلد2، العدد8، سبتمبر 2020م.

8- فنر عماد خليل، تحولات النظام الدولي في ظل الحرب الروسية الأوكرانية عام 2022 دراسة مستقبلية، مجلة قضايا سياسية. العدد 75، 2023م.

9- فيصل غازي ناصر، الدور الروسي في ليبيا بعد عام 2011م، مجلة قضايا سياسية. العدد 79، 2024م.

10- محمد أبو الفضل، كيف يؤثر التدخل الروسي في أوكرانيا على أطراف فاعلة بالأزمة الليبية، صحيفة العرب. العدد 12348، السنة 44، 2022م.

11- محمد نور البصراتي، استراتيجية العقوبات الدولية وانعكاساتها على سياسات الدول العراق إيران روسيا نموذجا . مجلة كلية الاقتصاد والعلوم السياسة. المجلد 3، العدد 23، 2022م.

12- مفتاح المبروك ميلاد علي، تجلي آثار الحرب الروسية الأوكرانية على الاقتصاد العالمي، مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية. المجلد 9، العدد 5، 2024م.

13- هايدى غنيم، تداعيات الحرب الروسية الاوكرانية على التوازنات الدولية والإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مجلة الدراسات الاقتصادية والسياسية. العدد 4، المجلد1، 2024م.

14- هشام محمد بشير دور الجغرافيا في الحرب الروسية الأوكرانية، مجلة كلية السياسة والاقتصاد. العدد 17، يناير 2023م.

ج- المراكز البحثية

1- بلال عبد الله، الحرب الروسية-الأوكرانية واتجاهات خفض التصعيد الدولي في ليبيا. الإمارات العربية: مركز الإمارات للسياسيات، أبريل 2022م.

2- ديمتري بريجع، دور روسيا في ليبيا. مركز الدراسات العربية الأوراسية، 2024م.

3- سعد صديقي، تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على النظامَين الدولي والمغاربي. الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، 2023م.

4- عصام عبد الشافي، الحرب الروسية-الأوكرانية ومستقبل النظام الدولي. قطر الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2022م.

5- عصام فاعور ملكاوي، الحرب الروسية الأوكرانية: السياقات والتحولات الاستراتيجية الأمنية والعسكرية. مركز المتوسط للدراسات الاستراتيجية، مارس، 2024م.

6- يوسف لطفي، الدور الروسي في ليبيا التاريخ والمقاربة والسلوك. منتدى العاصمة للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2021م.

د- الرسائل الجامعية

1- زانا دلشاد حسن، محددات الأمن القومي الروسي في ظل المتغيرات الدولية الجديدة. رسالة ماجستير: جامعة الشرق الأدنى: كلية العلوم الاقتصادية والإدارية، 2021م.

2- عادل ميلاد شنشن، تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على ليبيا. رسالة ماجستير: جامعة الزاوية – ليبيا، 2024م.

هـ- المراجع من المواقع الالكترونية

1- *السيد شبل، التأثير الروسي في ليبيا.. هل يتراجع بفعل الحرب الأوكرانية؟ 28 مارس 2023م،* https://www.almayadeen.net/research-papers

2- *لوموند: روسيا تعزز وجودها في ليبيا وسط استياء غربي واسع الجزيرة، نشر في 12- مايو 2024 https://www.aljazeera.net*

3- *مجموعة الازمات الدولية، أثر الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 2022* https://www.crisisgroup.org/ar/middle-east-north-africa/i

4- *نسرين الصباحي، كيف يُعزز الفيلق الإفريقي نفوذ روسيا في القارة السمراء؟ نشر في 27 مايو، 2024، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item*

5- *هند عيسى الحرب الروسية – الأوكرانية، تضع ليبيا في مواجهة أزمة القمح وارتفاع تكاليف الشحن تقرير: 27، فبراير، 2022م، وكالة الأنباء الليبية https://lana.gov.ly/post.php?lang=ar&id=234950*

6- *أوكرانيا، حفتر "تعهد" بإرسال مقاتلين ليبيين.. و"فاغنر" تتولى العملية"، الحرة، 20 مارس 2022م، https://cutt.us/WDUyn2022*

7- *وكالة الأنباء الليبية، الفايننشال تايمز : روسيا تسحب 200 من مرتزقة "فاغنر" من ليبيا ومعهم ألف سوري، نشر بتاريخ: 28-04-2022 14:25:17 https://lana.gov.ly/post.php?lang=ar&id=241076.*

8- *أثر الغزو الروسي لأوكرانيا على الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، 14 أبريل 2022م،* https://www.crisisgroup.org.

9- خالد الأشموري، كيف تعزز موسكو مصالحها في ليبيا من خطر التدخل الخارجي ؟، عرب جورنال، يوليو 13, 2025، https://arab-j.net/33291

10- بوابة الأوسط، ثلاثة معاهد غربية ترصد مكاسب «غير متوقعة» لليبيا من حرب أوكرانيا، الثلاثاء 18 يوليو 2023 https://alwasat.ly/news/libya/405435

11- بوتين يسمح بإرسال "مقاتلين من الشرق الأوسط" إلى أوكرانيا"، العربية نت، نشر في 11 مارس https://cutt.us/884bJ2022

12- التدخل الروسي في ليبيا والتأسيس لتواجد عسكريّ مُستدام، 14 أكتوبر, 2024، مركز أضواء للدراسات https://adhwaa.net

و- التقارير الدولية

1- تقرير حقوقي: فاغنر تنقل مقاتلين سوريين من ليبيا إلى روسيا، 21 مارس 2022. https://cutt.us/CqUfe

2- تقرير صندوق النقد الدولي 2022م.

ز- المراجع الأجنبية

1- Diana Galeeva, From Military Intervention and Economic Statecraft to Diplomacy: Russia's Transforming Middle Eastern Policies since October 7, 19 November, 2024

2- John J. Mearsheimer, "Bound to Fail: The Rise and Fall of The Liberal International Order, International Security. vol. 43, no. 4 2019, pp. 7-50.

3- Richard Sisk, Opposing Russian Syrian Mercenary Armies Face Off in Libya's civil War, Jul 2022.